من فضلك يا بائعة الكستناء

بقلم الدكتور

محمد ياسين



من فضلك يا بائعة الكستناء



اسم الكتاب: من فضلك يا بائعة الكستناء

اسم الكاتب: د.محمد ياسين

نوع العمل: رواية

الرقم الدولي EBIN: 16-1-459-260828

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: 2026م / 1448هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934

@ bassmabook

bassmabook@gmail.com

المملكة المغربية

كل الحقوق محفوظة

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمّل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. ولا يجوز بأيّ صورة نشرَ أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأيِّ طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

من فضلك يا بائعة الكستناء

رواية

د. محمد ياسين





عندما تفتحت عيناها

لم يكن الوقت هو الأفضل لولادة ياسمين بالنسبة لأهلها، فنحن في شتاء 2001 فبراير حيث الصقيع ينخر الجسد بالنسبة للأم، ولم تكن التدفئة على أحسن حال، فكان الأهل لفقرهم يعتمدون على قليل من الحطب، والبيت سقفه غير محمي تمامًا من تسريبات المطر.

جد الأم ينتظر في الخارج مع الوالد بانتظار لحظة قدوم ياسمين، لم يكونوا يعلمون أنها طفلة على الرغم من أمنيتهم ذلك فالأب يحمل خالد الأخ ذا الخمس سنين ربيعًا وتمنياتهم بالبنت بعد خمس سنوات انتظار.

الجارة "أم أحمد" تعد أدوات الولادة مع الداية "أم صابر" ولم يكن أحد من أهل "فدوى" الأم غير الوالد متواجد في هذه اللحظة الكونية لخروج ياسمينة الربيع إلى الدنيا، فالأهل لم يتواجدوا منذ سنوات طويلة لعدم قبولهم بزواج ابنتهم بتوفيق (أبو خالد وياسمين)، وفي المقابل لم يتواجد إلا شفيق أخ توفيق الصغير لأن الأهل أيضًا لم يوافقوا توفيق على زواجه.

لم تكن العائلتان على وفاق من هذا الزواج، فعادات القرية في ريف حلب أن يكون الزواج على أسس تقليدية ولا مجال للإرادة هنا أو الحرية في الاختيار فإرادتك في رغبات أمك ومواثيق أهلك من عموم وإخوة، فلا مجال لاختراق حدود العادة وإلا فإن نيران التجاوز في المرصاد.

لم يكن توفيق بالشاب السيء لزواج أم ياسمين "فدوى"، ولكن الصراع الأزلي بين أم توفيق وأم فدوى استمر عشرات السنوات لأن أم توفيق تطالب بحقها في شجرات الزيتون على حافة الطريق فالعائلتان جارتان لبعضهما وشجرة الزيتون مقدسة هناك، ولكن أم توفيق تدعي أن هاتين الشجرتين من حق زوجها المتوفى، ففي إحدى السنوات أنتجت الشجرتان ثلاث غالونات كبيرة من الزيت مما أثار حسد وغيرة أم توفيق التي سمعت بعض الأحاديث من الناس أن هاتين الشجرتين من حق زوجها.

هناك في ريف حلب تغزو الحياة الطبيعية والعلاقات العادات العشائرية من لباس ومناسبات وعزاء وحلويات وإذا كانت هناك مناسبة لشخص ما ولم يحضرها أحد الأقارب أو الأصدقاء تقوم الدنيا عليه ولا تقعد إذا لم يكن عنده مبرر، وفي نفس الريف تنتشر نشرات الإعلام الإخبارية بين النساء فأكثر حديث الناس عن

الناس، أم فلان طبخت وأبو فلان تزوج على مرته وابني نجح في الامتحان وحصل على أحسن علامة، وبنتي ما فيها مثلها ملكة جمال الكون والخبر عندما ينتقل يكون كلمة عند أول لسان، ولكنه مع الوقت يصبح مقالة كاملة وهذا حال كثير من الأوطان والبلاد، وتبدو الحياة هادئة في الريف فالناس تربطهم علاقة عشق مع الزراعة وتوفر مصادر المياه المتنوعة، وقطف الثمار في الريف هو رحلة استجمام بالنسبة لأهل المنطقة.

تنتشر في الريف بعض الزعامات في البلد، فعشيرة أبو فدوى وأبو توفيق تعد من العشائر المتوسطة في البلد ومكانهم في الاستشارات ومجالس البلد قليل، لأن أبو يوسف زعيم الحي الذي يسكنونه مسيطر على المنطقة، لامتلاكه أراضي زراعية يعمل بها أهل الريف، وعنده إسطبل من الخيول مع خيل أبيض خاص لأبي يوسف يغزو رأسه الشعر الجميل والحركة الجميلة.

لم يكن أبو يوسف "زعيم المنطقة" بالرجل العادل في تعاملاته مع الناس فهو كثير التحيز لأهل عشيرته وأقاربه فأغلب طلباتهم مستجابة، أما باقي المنطقة فأنتم على الدور أو الرفض.

يصنع أغلب الناس زيت الزيتون وبعض الصناعات الأخـــرى المشهورة بها البلد فهي تعد من أقدم المدن في العالم لذلك لها مكانـــة وتراث تاريخي كبير.

الريف يتبع لمحافظة حلب التي تشتهر في كثير من الصـــناعات كنسيج القطن وصناعة صابون الغار وصناعة الحديـــد والصـــلب وكثير من الصناعات التقليدية والمتطورة وحلب من أعلى الســـكان في الشام.

حتى بلغت الخمس سنوات

كبرت ياسمين وجمالها يكبر معها ولم تكن طفلة عادية فقد انتبه الأهل لشيء مميز بها وهو كثرة طرحها للأسئلة منذ عمر الـــثلاث سنوات حيث نطقت ومشت مبكرًا، فأي شيء تسأل عنه:

لماذا تشرب القهوة؟

ماذا يفعل المطر عندما يترل؟

لماذا أرى هذا الرجل يعطي هذه المرأة وردة جميلة؟

ماذا يعني عيد ميلاد؟

لماذا نطفي الشموع؟

لماذا بيتنا سقفه يسكب الماء؟

لماذا عند جيرانا تدفئة ونحن لا؟

هل تتعب في عملك؟

هل أخي خالد يحبني؟

هل بلدنا أفضل بلد؟

هل هذا الرجل يحب ابنه فهو يضربه ويصرخ عليه؟

كل سؤال من هذه الأسئلة وغيرها هو رحلة استكشاف والبحث عن كل ما هو غامض وهذا ما سيشكل شخصية ياسمين والوالد كان له الدور الأكبر حيث تحمله وصبره على كثرة أسئلتها وجوابه دون تململ أو منع كما يفعل كثير من الآباء في الريف حيث يرفضون كثرة الأسئلة وتدخل أبنائهم في أمور الكبار، ففي عمر الخمس سنوات كانت تذهب إلى مجالس الكبار مع والدها وكانت من تحاسب صاحب البقالة بدفع من والدها حيث علّمها إرادة الاختيار عندما كانت تنتقي الخيار والطماطم دون رفض من والدها أو والدتها، ولكن كان أكثر ما تختاره ياسمين هو "الكاستنا" ففي هذا العمر كانت بارعة في اختيار حبات الكاستنا على كثرة ما أكلتها في البيت، فقد كانت تضع على تدفئة الحطب حبات الكاستنا وتقشرها لأخيها خالد فتسلل حب الكاستنا إلى داخلها.

شجرة الزيتون

كان لدى "توفيق" والد ياسمين قطعة أرض صغيرة فيها عشرات أشجار زيتون وكان هناك مكان لشجرة زيتون أخرى واحدة، ولكن توفيق قرر أن شجرة الزيتون سوف تزرعها أول مرة ياسمين، وبالفعل اشترى توفيق النبتة مع ابنته وذهبا إلى الأرض وقامت ياسمين بزراعة النبتة بعون والدها وكانت أول قطرات مياه على النبتة من ياسمين مع قطرات الأسئلة لوالدها عن لماذا شجرة الزيتون؟ متى ستكبر؟ هل سوف أحبها؟ هل هي تحبني؟

تسأل ياسمين والدها متى ستكبر شجرة الزيتون وتعطينا الزيت فيقول بعد ثماني إلى عشر سنوات.

قالت لوالدها كم سيكون عمري؟

قال احسبيها على أصابعك أنت الآن خمس سنوات فعدت ياسمين وقالت سأكون ثلاث عشرة، وهل بقدر، يا بابا، أني أتسلق الشجرة بهذا الوقت وأقطف الزيتون؟ فقال نعم، ولكني سأساعدك ووعد أن هذه الشجرة أول قطرة زيت منها في الغالون ستكونين

أنت من يعبئها في المعصرة مع أول قطعة خبز، ولكن بـــدي منـــك تنتبهي لهذي النبتة وهاي مسؤوليتك.

زرعت ياسمين النبتة وقبلتها وقالت الآن أنت صـــديقتي الـــتي سنكبر مع بعض إن شاء الله، فلم تترك ياسمين خلال سنوات عمرها القادمة النبتة، فكانت كل مرة تذهب للأرض لا تجلس إلا بجانـــب نبتتها وتراها تكبر مع الوقت.

لم تكن العائلة بحالة جيدة حيث تربت يـــاسمين فعـــدم المحبـــة والصراعات بين العائلتين "أم توفيق" و"أم فدوى" كان لهمـــا أثـــر عكسي عليها فعند الزيارات العائلية يتعرض توفيق من حماته لقصف من الانتقادات وعدم الرغبة في أن يكون زوج ابنتي وعنـــد زيـــارة الأم لحماتها تتعرض أيضًا لقصف من الإشارات والتلميحات أنـــك لست المفضلة عند ابني وكان الأولاد أغلبهم تبعًا لتصريحات أمهـــم فعلى الرغم من محاولات فك الاشتباك الطويل بين "أم فدوى" و "أم توفيق" إلا أن الحالة قائمة على حالها بمطالبـــة أم توفيـــق بحقهـــا في شجرات الزيتون ومحاولة الوصول إلى حل بأن سنة لكم وسنة لنـــا، ولكن أم فدوى ترفض التنازل عن الشجرات وتقول لهم: "بتنـــازل عن عمري ولا بتنازل عن شجراتي، هذول من ريحة الغالي".

كانت ياسمين تعيش على بعد خمسة عشر دقيقة من بيت جداها، ولم يكن أحد من أعمامها أو أخوالها ذا حنية عليها غير عمها شفيق الأصغر وقليل من خالتها غير المتزوجة "سلمى"، فهي اليوم على ضفاف العمر ثماني سنوات ولم يبقَ غير أسبوع على عيد ميلادها، وقد التقت بعمها الأكبر وقالت له: "عمي، لقد اقترب عيد ميلادي بعد أسبوع"، فقال لها: "إن شاء الله تكبري وتعرفي غلطة أبوك لما تزوج أمك".

ذهبت يومًا إلى بيت جدها من أمها، وكان الأطفال يلعبون في ساحة البيت وقد حضر الطعام للأطفال، حيث أخذت ياسمين صحن الرز بلا قطعة دجاج عكس باقي الأطفال، وسألت جدها لماذا لا يوجد قطعة دجاج في صحني، وقالت جدها: "خلي أمك تطعميك"، أنت أصلًا ليش تيجي هون.

رجعت ياسمين والدمعة على خدها حيث وجدها أخوها خالد وهو بعمر الثالث عشر عائدًا من مساعدة والده الذي يعمل في مجال البلاط فهو يساعده بعد المدرسة حتى يعين العائلة.

دموع ياسمين كانت داخل عينها عندما عرف خالد بالقصة فقرر للحظتها أن يشتري دجاجة لأخته كاملة، ولكن نقوده لا تكفي لذلك فذهب لصاحب المحل وقال له بعطيك إياهن على

الأقساط كل أسبوع من عمل والدي بحاسبك على قطعة من الدجاج، ولكن أريدها الآن جميعها فضحك صاحب المحل لكلام خالد وسأله: لِمَ تصر على شراء الدجاجة كلها وعندي نصف دجاجة أبيعها؟ فقال: "حتى تعلم جديّ أن أختي تستحق كل شيء وليس بعض أو لا شيء".

لم تكن كلمات خالد لياسمين مجرد عبارات عابرة فلقد شعرت بقوتها في أخيها خالد وأن الحب موجود وأن هناك من أحمي نفسي به غير أبي وأمي.

جاء عيد ميلاد ياسمين الثامن عشر وقد حضر عمها شفيق الوحيد ليبارك لها وكان دائمًا يضعها على أكتافه أول ما تركض إليه، ولكن صدمتها عندما قال إنه يريد أن يترك ريف حلب لينتقل إلى دمشق للعمل وكان أول سؤال في نفسها "من سيحملني بعد ذلك على كتفه" ولم تبكِ ياسمين، بل بكت داخل عيونها.